

## الإمام الحسين (ع) ومصلحة الإسلام العليا

<?xml encoding="UTF-8?">



### تمهيد

إن للحسين ( عليه السلام ) موقعاً رسالياً تميّز به عن سائر أئمة أهل البيت ( عليه السلام ) ، وجعل منه رمزاً خالداً لكل مظلوم يصحر بظلامته عبر التاريخ ، وصرخة حق تدوي في وجه الظالمين إلى يوم الدين . وليس جزافاً قول رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في حقّه ( عليه السلام ) إن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين .

فعن أبي عبد الله ( عليه السلام ) قال : " كان النبي ( صلى الله عليه وآله ) في بيت أم سلمة فقال لها : لا يدخل عليّ أحد ، فجاء الحسين ( عليه السلام ) وهو طفل ، فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي ، فدخلت أم سلمة على إثره فإذا الحسين على صدره ، وإذا النبي يبكي ، وإذا في يده شئ يقلّبه .

فقال النبي : يا أم سلمة ، إن هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول ، وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك ، فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي ، فقالت أم سلمة : يا رسول الله ، سل الله أن يدفع ذلك عنه ؟

قال : قد فعلت فأوحى الله عزّ وجلّ إليّ أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين ، وأن له شيعة يشفعون فيشفّعون ، وأن المهدي من ولده ، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين وشيعته ، هم والله الفائزون يوم القيامة " . (١) .

وهو الذي نزل الوحي بتسميته حسيناً ، فقد روي أنه عندما زُفّت البشري لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بولادة الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، في اليوم الثالث من شهر شعبان المبارك في السنة الرابعة من الهجرة ، أسرع ( صلى الله عليه وآله ) إلى دار الزهراء ( عليها السلام ) فقال لأسماء بنت عمير : " يا أسماء ، هاتي ابني " ، فحملته إليه ، وقد لُفّ في خرقة بيضاء ، فاستبشر ( صلى الله عليه وآله ) وضّمّه إليه وأدّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، ثم وضعه في حجره وبكى ، فقالت أسماء : فذاك أبي وأمي ، ممّ بكاؤك ؟

قال ( صلى الله عليه وآله ) : " من ابني هذا " . قالت : إنه ولد الساعة . قال ( صلى الله عليه وآله ) : " يا أسماء ، تقتله الفئة الباغية من بعدي ، لا أنالهم الله شفاعتي " . ثم قال : " يا أسماء ، لا تخبري فاطمة فإنها حديثه عهد بولادته " .

ثم قال ( صلى الله عليه وآله ) لعلي ( عليه السلام ) : "أي شئ سمّيت ابني" ؟ فأجابه علي ( عليه السلام ) : ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله . فنزل جبرئيل ( عليه السلام ) على رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) حاملاً اسم الوليد المبارك ، قال لعلي ( عليه السلام ) : "سمّه حسيناً" . (٢)

وتتوالى بيانات رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في وصف مقام الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، وموقعه الرفيع من الرسالة والرسول ، منها : عن يعلى بن مرة ، قال : قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : "حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحبّ حسيناً ، حسينٌ سبط من الأسباط" . (٣)

وعن سلمان الفارسي ، قال : سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يقول : "الحسن والحسين ابناي ، من أحبّهما أحبّني ، ومن أحبّني أحبّه الله ، ومن أحبّه الله أدخله الجنة ، ومن أبغضهما أبغضني ، ومن أبغضني أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله النار على وجهه" . (٤)

وعن البراء بن عازب ، قال : رأيت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) حاملاً الحسين بن علي على عاتقه وهو يقول : "اللهم إني أحبّه فأحبّه" . (٥)

وعن أبي جعفر ( عليه السلام ) قال : كان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) إذا دخل الحسين ( عليه السلام ) اجتذبه إليه ، ثم يقول لأُمير المؤمنين ( عليه السلام ) : "أمسكه" ، ثم يقع عليه فيقبّله ويبكي ، فيقول : يا أبة ، لم تبكي ؟

فيقول : "يا بني ، أقبل موضع السيوف منك وأبكي" . قال يا أبة ، وأقتل ؟ قال : "إي والله ، وأبوك وأخوك وأنت" . قال : يا أبة ، فمصارعنا شتّى ؟ قال : "نعم ، يا بني" ، قال : فمن يزورنا من أمتك ؟ قال : "لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمتي" . (٦)

وقال : "لعن الله قاتلك ، ولعن الله سالكك ، وأهلك الله المتوازيين عليك ، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك" . قالت فاطمة الزهراء ( عليها السلام ) : يا أبت ، أي شئ تقول ؟

قال : "يا بنتاه ، ذكرت ما يصيبه بعدي وبعذك من الأذى والظلم والغدر والبغي ، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء ، يتهادون إلى القتل ، وكأنني أنظر إلى معسكرهم ، وإلى موضع رحالهم وتربتهم" .

قالت : يا أبة ، وأين هذا الموضع الذي تصف ؟ قال : "موضع يقال له كربلاء ، وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة ، ويخرج عليهم شرار أمتي ، لو أن أحدهم شقّع له في السموات والأرضين ما شقّعوا فيه ، وهم المخلّدون في النار" . قالت : يا أبة ، فيقتل ؟ قال : "نعم يا بنتاه ، وما قُتل قتلته أحد كان قبله ، ويبكيه السموات والأرضون ،

والملائكة ، والوحش ، والنباتات ، والبحار ، والجبال ، ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس ، ويأتيه قوم من محبّينا ليس في الأرض أعلم بالله ، ولا أقوم بحقّنا منهم ، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم ، أولئك مصابيح في ظلمات الجور ، وهم الشفعاء ، وهم واردون حوضي غداً ، أعرفهم إذا وردوا عليّ بسيماهم ، وكل أهل دين يطلبون أئمتهم ، وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا ، وهم قوّم الأرض ، وبهم ينزل الغيث" .

فقال الزهراء ( عليها السلام ) : يا أبة ، إنا لله ، وبكت ، فقال لها : "يا بنتاه ، إن أفضل أهل الجنان هم الشهداء

في الدنيا ، بذلوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً ، فما عند الله خير من الدنيا وما فيها ، قتله أهون من ميتة ، ومن كتب عليه القتل ، خرج إلى مضجعه ، ومن لم يقتل فسوف يموت .

يا فاطمة بنت محمد ، أما تحبين أن تأمرين غداً بأمر فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب ؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش ؟

أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة ؟ أما ترضين أن يكون بعلك يزود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أوليائه ويزود عنه أعداءه ؟ أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار ، يأمر النار فتطيعه ، يخرج منها ما يشاء ؟ ويترك من يشاء .

أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به ، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله ؟ فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك وقاتل بعلك إذا أفلجت حجته على الخلائق ، وأمرت النار أن تطيعه ؟ .

أما ترضين أن يكون الملائكة تبكي لابنك ، وتأسف عليه كل شيء ؟ أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله ، ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله واعتمر ، ولم يخل من الرحمة طرفة عين ، وإذا مات مات شهيداً ، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي ، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا ؟ قالت : يا أبة ، سلّمت ، ورضيت ، وتوكلت على الله ، فمسح على قلبها ومسح عينيها ، وقال : "إني وبعلك وأنت وابنيك في مكان تقر عيناك ، ويفرح قلبك" . (٧)

وعن ابن عباس قال : لما اشتد برسول الله ( صلى الله عليه وآله ) مرضه الذي مات فيه ، ضمّ الحسين ( عليه السلام ) إلى صدره يُسيل من عرقه عليه ، وهو يجود بنفسه ، ويقول : "مالي وليزيد لا بارك الله فيه ؟ اللهم العن يزيد" . ثم عُشي عليه طويلاً ، وأفاق وجعل يقبّل الحسين وعيناه تذرفان ، ويقول : "أما إنّ لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عزّ وجلّ" . (٨)

ومن هنا ندرك كيف أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) كان يهَيّئ ولده الحسين ( عليه السلام ) لدور رسالي فريد ، ويوحى به ويؤكّده ، ليحفظ له رسالته من الانحراف والضياح ،

لذا نجد أن سيرة سيد الشهداء الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، هي من أبرز مصاديق وحدة الهدف في تحقيق وحفظ مصلحة الإسلام العليا ، التي اتّسمت بها أدوار أئمة أهل البيت ( عليهم السلام ) ، على رغم تنوّعها في الطريقة وتباينها الظاهري في المواقف ، وقد تمثّل في سيرة الإمام الحسين ( عليه السلام ) مبدأ حفظ مصلحة الإسلام العليا في أربعة مواقف كبرى ، شملت عهد إمامة أبيه ( عليه السلام ) وعهد إمامة أخيه الحسن ( عليه السلام ) وعهد إمامته ( عليه السلام ) .

## ١- في عهد إمامة أبيه أمير المؤمنين ( عليه السلام ) :

وقد جسّد الإمام الحسين ( عليه السلام ) فيه الطاعة التامة والامتثال الكامل لأوامر إمامة أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، في الموقف من الخلافة بعد رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وخصوصاً أيام الفتنة الطخياء على عهد عثمان بن عفّان ، التي انتهت بقتله ، وكذلك في خوضه حروب الدفاع عن دولة الإسلام وخلافة أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، التي كان أبرزها حرب الناكثين المعروفة بحرب الجمل ، وحرب القاسطين المعروفة بحرب صفّين ، وحرب المارقين المعروفة بحرب النهروان . وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً عند بياننا لمواقف أمير المؤمنين ( عليه السلام ) والإمام الحسن ( عليه السلام ) في حفظ مصلحة الإسلام العليا .

## ٢- في عهد إمامة أخيه الحسن بن علي ( عليه السلام ) :

كان الإمام الحسين ( عليه السلام ) ظهير أخيه الإمام الحسن ( عليه السلام ) الأمين وساعده الأيمن في مواجهه الباغية معاوية بن أبي سفيان ، ثم كان شريكه في دفع الفتنة الكبرى التي وقع فيها أصحابه وأتباعه بسبب الصلح ، الذي أملتة الضرورة فأوقعه مع معاوية حقناً لدماء أهل البيت ( عليهم السلام ) ، ودماء أصحابهم وأتباعهم التي مثّلت في حينها سناء مصلحة الاسلام في بقاء من يصدع بحق الثقلين ، ويذبّ عن أهل بيت النبوة والعصمة ، ويدفع عن الإسلام غائلة التحريف والتزوير . وقد أشرنا أيضاً إلى ذلك فيما سلف من ذكر المواقف الكبرى للإمام الحسن ( عليه السلام ) لحفظ مصلحة الإسلام العليا .

## ٣- في عهد إمامته ( عليه السلام ) :

وفي هذا العهد ضرب الإمام الحسين ( عليه السلام ) المثل الأعلى في تجسيد روح الثبات والقدم الراسخة على مبادئ الإسلام ومصلحته العليا ، حيث كان له سلام الله عليه موقفان متواليان ، قد يُلاحظان متخالفين ظاهرياً ، من الحكم الأموي منذ اليوم الأول لصيرورة الإمامة إليه بعد استشهاد أخيه الإمام الحسن ( عليه السلام ) : الأول من معاوية بن أبي سفيان ، والثاني من يزيد بن معاوية :

## أ- موقفه من معاوية بن أبي سفيان :

وله في موقفه هذا من معاوية صورتان تكاملّيتان ، كلاهما تحكيان مبدأيّه العصماء في لحاظ مصلحة الإسلام العليا :

الصورة الأولى : التزامه ( عليه السلام ) بعهد أخيه الامام الحسن ( عليه السلام ) ، ووفائه ببندود صلح أخيه المبرم

مع معاوية بن أبي سفيان، لاعتقاده بأن المصلحة الإسلامية لا زالت في ذلك ، ولأن مبادئ الإسلام وأحكامه تأبى عليه نقض العهود والتحلل من الوفاء بالعقود ، إلا إذا أُخلَّ بشروطه أو انتهت مدته ، لقول الله تعالى : ( يا أيُّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ) ، (٩) وقوله أيضاً : ( وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسؤولاً ) . (١٠)

فمما رواه الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السيِّر قالوا : لما مات الحسن بن عليّ ( عليه السلام ) تحرّكت الشيعة بالعراق ، وكتبوا إلى الحسين ( عليه السلام ) في خلع معاوية والبيعة له ، فامتنع عليهم ، وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدّة ، فإن مات معاوية نظر في ذلك . (١١)

الصورة الثانية : وفيها سلك الإمام الحسين ( عليه السلام ) مسلكاً تكاملياً في مقابل التزامه بما تملّيه عليه الحكمة الإلهية والمصلحة الإسلامية للصلح الذي عقده الإمام الحسن ( عليه السلام ) مع معاوية ، والتي من أبرزها كشف حقيقة هذا الأخير وحقيقة حكومة بني أمية للمسلمين ، فانطلق الإمام ( عليه السلام ) من نفس هذه الحكمة الإلهية والمصلحة الإسلامية ، وعمل جهده لكشف هذه الحقيقة .

وهنا يتبيّن لنا السر في عدم التخالف بين موقفه في الصورة الأولى وموقفه في هذه الصورة الثانية ، فهما صورتان لموقف تكاملي هادف ، يحفظ في الأولى حدود الصلح المعلنة ، ويسعى في الثانية لتكميل تحقيق الأهداف المنشودة لهذا الصلح ، وذلك عن طريق إظهار الحق وإعلانه في وجه معاوية بن أبي سفيان ، والتصديّ له بالحجّة البالغة ، وتعرية انحرافه عن كتاب الله وسنة نبيّه ( صلى الله عليه وآله ) ، ودفع البدع التي أحدثها في الدين ، واستنكار الظلم والجور الذي أوقعه على صفوة الأصحاب والتابعين من شيعة أهل البيت ( عليهم السلام ) ، وسفك دمائهم الطاهرة ، خلافاً لبنود الصلح المبرم مع الإمام الحسن ( عليه السلام ) .

## ومما روي في ذلك :

١- تصدّيه ( عليه السلام ) لأمر معاوية وولاته وعمّاله بلعن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) على المنابر واضطهاد شيعته ، وقتل من يروي شيئاً من فضائله ، فعن سليم بن قيس قال : نادى منادي معاوية أن قد برئت الذمّة ممّن يروي حديثاً من مناقب عليّ وفضل أهل بيته ، وكان أشدّ الناس بليّة أهل الكوفة ، لكثرة من بها من الشيعة ، فاستعمل زياد بن أبيه ، وضمّ إليه العراقيين الكوفة والبصرة ، فجعل ينتبّع الشيعة وهو بهم عارف .

يقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم ، وقطع الأيدي والأرجل ، وصلبهم في جذوع النخل ، وسمل أعينهم وطردهم وشرّدهم ، حتى نُفوا عن العراق فلم يبق بها أحد معروف مشهور ، فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد .

وكتب معاوية إلى جميع عمّاله في جميع الأمصار أن لا تجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة ، وانظروا قبلكم من شيعة عثمان ومحبيّه ومحبيّ أهل بيته وأهل ولايته ، والذين يروون فضله ومناقبه ، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم ، واكتبوا بمن يروي من مناقبه واسم أبيه وقبيلته ، ففعلوا حتى كثرت الرواية في عثمان ، وافتعلوها لما كان يبعث إليهم من الصّلات والخِلع والقطائع من العرب والموالي ، وكثر ذلك في كل مصر ،

وتنافسوا في الأموال والدنيا ، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار فيروي في عثمان منقبة أو فضيلة إلا كتب اسمه وأجيز ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

ثم كتب إلى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر ، فادعوا الناس إلى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه ، فإن ذلك أحبّ إلينا وأقرّ لأعيننا ، وأدحض لحجة أهل البيت وأشدّ عليهم ، فقرأ كلّ أمير وقاض كتابه على الناس !! فأخذ الرواة في فضائل معاوية على المنبر في كل كورة وكل مسجد زوراً ، وألقوا ذلك إلى معلّمي الكتاتيب ، فعلموا ذلك صبيانهم كما يعلمونهم القرآن ، حتى علّموه بناتهم ونساءهم وحشمتهم ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

وكتب زياد بن أبيه إليه في حقّ الحضرميّين أنهم على دين علي وعلى رأيهِ ، فكتب إليه معاوية أن يقتل كلّ من كان على دين عليّ ورأيهِ ، فقتلهم ومثّل بهم!!

وكتب كتاباً آخر : أنظروا من قبلكم من شيعة علي وأنّهمتموه بحبّه فاقتلوه ، وإن لم تقم عليه البيّنة ، فاقتلوه على التهمة والظنة والشبهة تحت كل حجر حتى أن الرجل لتسقط منه كلمة فتضرب عنقه ، في حين كان الرجل يرمى بالزندقة والكفر فلا يتعرّض له بمكروه بل يكرّم ويعظم !! وكان الرجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان ، لا سيما الكوفة والبصرة ، حتى لو أن أحداً منهم أراد أن يلقي سرّاً إلى من يثق به خاف خادمه ومملوكه ، فلا يحدثه إلا بعد أن يأخذ عليه الأيمان المغلّظة أن يكتّم عليه ، حتى كثرت أحاديثهم الكاذبة ، ونشأ عليها الصبيان .

وكان أشدّ الناس في ذلك القراء المراءون المتصنّعون ، الذين يُظهرون الخشوع والورع ، فكذبوا وانتحلوا الأحاديث وولّدوها ، فحظوا بذلك عند الولاة والقضاة وأدّوا مجالسهم ، وأصابوا الأموال والقطائع والمنازل ، حتى صارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقّاً وصدقاً ، فرووها وقبلوها وتعلّموها وعلموها ، وأحبّوا عليها وأبغضوا من ردّها أو شكّ فيها ، فاجتمعت على ذلك جماعتهم ، وصارت في يد المتنسّكين والمتديّنين منهم ، فقبلوها وهم يرون أنّها حق ، ولو علموا بطلانها وتيقّنوا أنّها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها ، ولم يبغضوا من خالفها ، فصار الحقّ في ذلك الزمان عندهم باطلاً ، والباطل عندهم حقّاً ، والكذب صدقاً ، والصدق كذباً .

فلما مات الحسن بن علي ( عليه السلام ) ازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق لله ولي إلا هو خائف على نفسه ، أو مقتول أو طريد شريد ، فلما كان قبل موت معاوية بسنتين ، حجّ الحسين بن علي ( عليه السلام ) وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس معه .

وقد جمع الحسين بن علي ( عليه السلام ) بني هاشم ، رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم ، من حج منهم ومن لم يحج ، ومن الانصار ممّن يعرفونه وأهل بيته ، ثم لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ومن أبنائهم والتابعين ، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلاّ جمعهم ، فاجتمع عليه بمنى أكثر من ألف رجل عامتهم التابعون وأبناء الصحابة ، والحسين ( عليه السلام ) في سرادقه ، فقام ( عليه السلام ) فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : "أما بعد ، فإنّ الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم ، وإني أريد أن أسألكم عن أشياء ، فإن صدقت فصدّقوني ، وإن كذبت فكذبوني . إسمعوا مقالتي واكتموا قولي ، ثم ارجعوا إلى امصاركم وقبائلكم من أمتوموه ووثقتهم به فادعوهم إلى ما تعلمون ، فإني أخاف أن

يندرس هذا الحق ويذهب ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ” .

فما ترك الحسين ( عليه السلام ) شيئاً أنزل الله فيهم (أهل البيت عليهم السلام ) من القرآن إلاّ قاله وفسّره ، ولا شيئاً قاله الرسول في أبيه وأمّه وأهل بيته إلاّ رواه . وفي كل ذلك يقول الصحابة : اللهم نعم ، قد سمعناه وشهدناه ، ويقول التابعون : اللهم قد حدّثنا من نصّدقه ونأتمنه ، حتى لم يترك شيئاً إلاّ قاله ، ثم قال : “أنشدكم بالله إلاّ رجعتم وحدّثتم به من تثقون به” ، ثم نزل وتفرّق الناس على ذلك . (١٢)

## ٢- استنكاره ( عليه السلام ) على معاوية قتله لصفوة من صحابة رسول الله وتابعيهم من شيعة أهل البيت،

لقد روى صالح بن كيسان قال : لما قُتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حجّ ذلك العام ، فلقي الحسين بن علي ( عليه السلام ) فقال : يا أبا عبد الله ، هل بلغك ما صنعنا بحجر واصحابه وأشياعه وشيعة أبيك ؟ فقال ( عليه السلام ) : “وما صنعت بهم” ؟ قال : قتلناهم ، وكفّناهم ، وصلّينا عليهم . فضحك الحسين ( عليه السلام ) ثم قال : “خصمك القوم يا معاوية ، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفّناهم ولا صلّينا عليهم ولا قبرناهم .

ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا ، واعتراضك بني هاشم بالعيوب ، فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك ، ثم سلها الحق عليها ولها ، فإنّ لهم تجدّها أعظم عيباً ، فما أصغر عيبك فيك ، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترنّ غير قوسك ولا ترمينّ غير غرضك ، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب ، فإنّك والله لقد أطعت فينا رجلاً ما قدّم إسلامه ، ولا حدث نفاقة ، ولا نظر لك ، فانظر لنفسك أو دع” - يعني عمرو بن العاص - . (١٣)

وجاء في سيرة أهل البيت لأبي علم : إن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية ، وكان عامله على المدينة ، أمّا بعد ، فإن عمرو بن عثمان ذكر أن رجلاً من أهل العراق ووجه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي ( عليه السلام ) ، وأنه لا يؤمن وثوبه ، وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه يريد الخلاف يومه هذا ، فاكتب إليّ برأيك ، فكتب إليه معاوية : بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين ، فإنّك أن تتعرّض له بشيء ، واترك حسيناً ما تركك ، فإنّنا لا نريد أن نتعرّض له ما وفي ببيعتنا ، ولم ينازعنا سلطاننا ، فأمسك عنه ما لم يبد لك صفحته .

وكتب إلى الحسين ( عليه السلام ) : أمّا بعد ، فقد انتهت إليّ أمور عنك إن كانت حقاً فإنّي أرغب بك عنها ، ولعمر الله إن من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء ، وإن أحق الناس بالوفاء من هو مثلك في خطرك وشرّك ومنزلتك التي أنزلك الله بها ، فاذكر ، وبعهد الله أوف ، فإنك متى تنكرني أنكرك ، ومتى تكذني أكذك ، فاتّق شقّ عصا هذه الأمّة ، وأن يردّهم الله على يديك في فتنة ، فقد عرفت الناس وبلوتهم ، فانظر لنفسك ولدينك ولأمّة جدك ، ولا يستخفّنك السفهاء الذين لا يوقنون .

فكتب إليه الحسين ( عليه السلام ) في جوابه : “أمّا بعد ، فقد بلغني كتابك أنه بلغك عني أمور أن بي عنها غنى ، زعمت أني راغب فيها ، وأنا بغيرها عنك جدير ، أمّا ما رقي اليك عني ، فإنه رقاؤه إليك الملاقون المشاءون بالنمائم

، المفرّقون بين الجمع ، كذب الساعون الواشون ، ما أردت حربك ولا خلافاً عليك . وأيمُ الله إني لأخاف لله عزّ ذكره في ترك ذلك ، وما أظنّ الله تبارك وتعالى براص عنيّ بتركه ، ولا عاذري بدون الاعتذار إليه فيك وفي أولئك القاسطين الملبّين حزب الظالمين ، بل أولياء الشيطان الرجيم ” .

ألست قاتل حجر بن عدي أخي كندة وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين، كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون المنكر والبدع ويؤثرون حكم الكتاب ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، فقتلتهم ظلماً وعدواناً بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة ، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ، ولا بإحنة تجدها في صدرك عليهم ؟! أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصقّرت لونه ، ونحلت جسمه ، بعد أن أمّنته وأعطيته من عهود الله عزّ وجلّ وميثاقه ما لو أعطيته العُصم ففهمته لنزلت إليك من شغف الجبال ، ثم قتلته جرأة على الله عزّ وجلّ واستخفافاً بذلك العهد ؟! ” .

“أولست المدّعي زياد بن سمّية ، المولود على فراش عبيد عبد ثقيف ، فزعمت أنه ابن أبيك ؟ وقد قال رسول الله : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، فتركت سنة رسول الله واتبعت هواك بغير هدى من الله ، ثم سلّطته على أهل العراق فقطع أيدي المسلمين وأرجلهم وسمل أعينهم ، وصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك ؟! ”

“أولست صاحب الحضرميين الذين كتب إليك فيهم ابن سمّية أنهم على دين عليّ ورأيه ، فكتبت إليه اقتل كلّ من كان على دين علي ( عليه السلام ) ورأيه ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك ؟! ودين عليّ - والله - وابن عليّ للذي كان يضرب عليه أباك ، وهو أجلسك بمجلسك الذي أنت فيه ، ولولا ذلك لكان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشم الرّحلتين اللتين بنا من الله عليكم فوضعهما عنكم .

وقلت فيما تقول : أنظر نفسك ولدينك ولأمة محمد ( صلى الله عليه وآله ) واتق شقّ عصا هذه الأمة وأن تردّهم في فتنة . فلا أعرف فتنة أعظم من ولايتك عليها ، ولا أعلم نظراً لنفسي وولدي وأمة جدي أفضل من جهادك ، فإن فعلته فهو قرينة إلى الله عزّ وجلّ ، وإن تركته فأستغفر الله لذنبي وأسأله توفيقاً لإرشاد أموري ” .

“وقلت فيما تقول : إن أنكرت تنكرني ، وإن أكذبت تكذّبي . وهل رأيك إلاّ كيد الصالحين منذ خلقت ؟ فكذّبي ما بدا لك إن شئت ، فإنني أرجو ألاّ يضرتني كيدك ، وألاّ يكون على أحد أضّر منه على نفسك ، على أنك تكيد فتوقظ عدوك وتوبق نفسك ، كفعلك بهؤلاء الذين قتلتهم ومثّلت بهم بعد الصلح والأيمان والعهد والميثاق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قتلوا إلاّ لذكرهم فضلنا . وتعظيمهم حقّاً بما به شرفت وعرفت ، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم ممّت قبل أن يفعلوا . أو ماتوا قبل أن يدركوا ” .

“أبشر يا معاوية بقصاص ، واستعد للحساب ، واعلم أنّ الله عزّ وجلّ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ، وليس الله تبارك وتعالى بناس أخذك بالظنة وقتلك أوليائه بالتهمة ، ونفيك إيّاهم من دار الهجرة إلى الغربة والوحشة ، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام من الغلمان ، يشرب الشراب ، ويلعب بالكعب . لا أعلمك إلاّ قد خمّرت نفسك ، وشريت دينك ، وغششت رعيتك ، وأخزيت أمانتك ، وسمعت مقالة السفية الجاهل ، وأخفت التقى الورع الحليم ” .

قال : فلما قرأ معاوية كتاب الحسين ( عليه السلام ) قال : لقد كان في نفسه غضب عليّ ما كنت أشعر به ، فقال ابنه يزيد ، وعبد بن أبي عمير بن جعفر : أجبه جواباً شديداً تصغر إليه نفسه ، وتذكر أباه بأسوأ فعله وآثاره . فقال : كلا ، أرايتما لو أنّي أردت أعيب عليّاً محقّاً ما عسيت أن أقول ؟ إن مثلي لا يحسن به أن يعيب بالباطل وما لا يعرف الناس ، ومتى عبت رجلاً بما لا يعرف لم يحفل به صاحبه ولم يره شيئاً ، وما عسيت أن أعيب حسيناً وما أرى للعيب فيه موضعاً إلاّ أنّي قد أردت أن أكتب إليه وأتوعدّه وأهدده وأجهله ثم رأيت ألاّ أفعل . ( ١٤ )

### ٣- إظهاره وإعلانه لفضائل أهل البيت ( عليه السلام ) وحقهم في ولاية المسلمين

فعن موسى بن عقبة أنه قال : لقد قيل لمعاوية إنّ الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين ( عليه السلام ) ، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب ، فإن فيه حصراً أو في لسانه كلاله . فقال لهم معاوية : قد ظننّا ذلك بالحسن ، فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنّا ، فلم يزالوا به حتى قال للحسين : يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت ، فصعد الحسين ( عليه السلام ) المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، فسمع رجلاً يقول : من هذا الذي يخطب ؟ فقال الحسين ( عليه السلام ) : " نحن حزب الله الغالبون ، وعتره رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) الأقربون ، وأهل بيته الطيبون ، وأحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) عليه وآله ) ثاني كتاب الله تبارك وتعالى ، الذي فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعول علينا في تفسيره ، لا يبطينا تأويله ، بل نتبع حقايقه ، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة ، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة . قال الله عزّ وجلّ : ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ) ، وقال : ( ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلاّ قليلاً ) " .

" وأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم ، فإنّه لكم عدوّ مبين ، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جارّ لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم ، فتلقون للسيوف ضرباً وللرمح ورداً وللعمد حطماً وللسهام غرضاً ، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً " . ( ١٥ )

ب - موقفه من يزيد بن معاوية :

جسد الإمام الحسين ( عليه السلام ) في هذا الموقف الرسالي الفريد أحد أبرز مصاديق وحدة الهدف في تحقيق مصلحة الإسلام العليا في أدوار أئمة أهل البيت ( عليهم السلام ) ، رغم تنوّعها وتباينها في الطريقة والأساليب ، حين نهض ( عليه السلام ) في وجه الفاجر يزيد بن معاوية مسترخصاً كل شئ في سبيل مصلحة الإسلام العليا .

إن من أبرز مصاديق الحكمة في نهضة الإمام الحسين ( عليه السلام ) في سبيل تحقيق مصلحة الاسلام العليا هي :

١- إن معاوية في تنصيبه لابنه يزيد من بعده للخلافة قد نقض عهده المبرم في صلحه مع الإمام الحسن ( عليه السلام ) ، وبذلك أصبح الإمام الحسين ( عليه السلام ) أمام أمر مستحدث يقتضي منه موقفاً يتناسب وما تمليه مصلحة الإسلام العليا .

٢- ان تنصيب يزيد من قبل أبيه معاوية خليفة للمسلمين سيصبح أكبر قضية تهدد أساس العقيدة الإسلامية بالحق ، ويعرضها للزوال ، وذلك من خلال الانحراف الخطير الذي سيطر على مسألة الحكم الإسلامي وخلافة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فإن تنصيب مثل يزيد للخلافة - وهو المتجاهر بالفسق والفجور والزنا وشرب الخمر ، وبذلك الطريقة التي سلكها معاوية ، وهي إخراج الخلافة عن أصولها حتى عن مبنى الخلافة الراشدة بعد رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وجعلها وراثية في بني أمية على أسس الجاهلية ومقولاتها - يعني على أقل تقدير وقوع الحكم الإسلامي في خطر التحول الجذري ، والانقلاب الكلي في الحكم الإلهي الذي جاء به رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وما يقوم على أساسه من عدل وقسط وصلاح ، إلى عصبية الجاهلية القبلية ، وحكم الطاغوت الوراثي الذي سيكون للهوى والرأي المستبد الملاك التام والمقياس الفصل بين قيامه وحاكميته على المسلمين .

٣- إن مشكلة الانحراف الجذري في مسألة الخلافة آنذاك لم تكن في إدراك مجمل هذه الحقيقة ، فقد كان المسلمون المخلصون حينئذ ، وعلى رأسهم كبار الصحابة والتابعين من الموالين لأهل البيت ( عليه السلام ) ومحبيهم ، مدركين لها ولخطورتها ، إلا أن الإرادة العامة للمسلمين لم تكن بمستوى هذا الإدراك ، مما دفع الإمام الحسين ( عليه السلام ) لتحمل هذه المسؤولية الكبرى ، فأنبرى لبذل دمه ودماء أهل بيته وأصحابه لتكون وقوداً ساخناً لإلهاب تلك الإرادة الهامدة ، وتعرية حقيقة الجاهلية الكامنة في خلافة يزيد بن معاوية ، التي استبدل فيها حاكمية كتاب الله وسنة نبيه ( صلى الله عليه وآله ) وأهل بيته الطاهرين ( عليهم السلام ) ، بحاكمية الجاهلية وسنة القبيلة والآباء والأجداد من بني أمية وأبي جهل، وبدأت منذ نهضته وبعد استشهاد ( عليه السلام ) مرحلة المواجهة والجهاد العنيد لهذا الخط المنحرف ، ليقوم للدين عود ولتستقيم كلمته في العباد .

ولتصديق ذلك لابد لنا من إلقاء نظرة على نماذج من الوقائع الخاصة لنهضة الإمام الحسين ( عليه السلام ) الكبرى ، لتلمس من خلالها المحتوى المبدئي في حفظ مصلحة الإسلام العليا ، ورعايتها التي ضحى الإمام الحسين ( عليه السلام ) بنفسه وأهل بيته وأصحابه من أجلها ، منها :

١- لا بيعة ليزيد ( شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة والمعلن بالفسق ) :

فقد جاء في كتب التاريخ أن معاوية لما هلك بدمشق في منتصف رجب سنة ستين هجرية ، وكان ابنه يزيد في حوران ، قام الضحاك بن قيس بتكفينه ثم صلى عليه ودفنه بمقابر باب الصغير ، وأرسل البريد إلى يزيد يعزيه بأبيه ، ويطلب منه الإسراع في القدوم ليأخذ بيعة مجددة من الناس ، (١٦) فسار يزيد إلى دمشق فوصلها بعد ثلاثة أيام من دفن معاوية ، وأقبل الناس عليه يهتئون بالخلافة ويعزونه بوفاة أبيه ، فقال يزيد : . . . أبشروا يا أهل الشام ، فإن الخير لم يزل فيكم ، وستكون بيني وبين أهل العراق ملحمة ، وذلك أتت رأيته في منامي منذ ثلاث ليال كأن بيني وبين أهل العراق نهراً يطرد بالدم جرياً شديداً ، وجعلت أجهد نفسي لأجوزه فلم أقدر حتى جازه بين يدي عبيد الله بن زياد وأنا أنظر إليه .

فصاح أهل الشام : إمض بنا حيث شئت . معك سيوفنا التي عرفها أهل العراق في صفين ، فجزاهم خيراً وفرّق فيهم أموالاً جزيلة .

وكتب إلى العمال في البلدان يخبرهم بهلاك أبيه وأقرّهم على عملهم ، وضم العراقيين إلى عبيد الله بن زياد بعد أن أشار عليه بذلك سرجون مولى معاوية ، وكتب إلى الوليد بن عتبة وكان على المدينة : أما بعد ، فإن معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه واستخلصه ومكّن له ، ثم قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته .

عاش بقدر ومات بأجل ، وقد كان عهد إليّ وأوصاني بالحذر من آل أبي تراب لجرأتهم على سفك الدماء ، وقد علمت يا وليد أن الله تبارك وتعالى منتقم للمظلوم عثمان من آل أبي سفيان ، لأنهم أنصار الحق وطلاب العدل ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على أهل المدينة .

ثم أرفق الكتاب بصحيفة صغيرة فيها : خذ الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ، ومن أبي فاضرب عنقه ، وابعث إليّ برأسه . (١٧)

وقام العامل بهذه المهمة ، فبعث إلى الحسين ( عليه السلام ) وابن الزبير في منتصف الليل رجاء أن يغتنم الفرصة بمبايعتهما قبل الناس ، فوجدهما رسوله عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان بن عفان (١٨) في مسجد النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، فارتاب ابن الزبير من هذه الدعوة التي لم تكن في الوقت الذي يجلس فيه للناس . (١٩)

وأتّضح لابن الزبير ما عزم عليه الحسين من ملاقة الوالي في ذلك الوقت ، فأشار عليه بالترك حذار الغيلة ، فعرفّه الحسين ( عليه السلام ) القدرة على الامتناع (٢٠) ، وصار إليه الحسين ( عليه السلام ) في ثلاثين (٢١) من مواليه وأهل بيته وشيعته شاكّين السلاح ، ليكونوا على الباب فيمنعوه إذا علا صوته (٢٢) ، وببيده قضيب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، ولما استقر المجلس بأبي عبد الله ( عليه السلام ) نعى الوليد إليه معاوية ، ثم عرض عليه البيعة ليزيد ، فقال ( عليه السلام ) : مثلي لا يبايع سراً . فإذا دعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً . (٢٣)

فاقتنع الوليد بكلامه ، ولكن مروان ابتدر قائلاً : إن فارقك الساعة ولم يبايع لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم ، ولكن احبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه . فقال الحسين : "يا بن الزرقاء (٢٤) ، أنت تقتلني أم هو ؟ كذبت وأثمت" . (٢٥)

ثم أقبل على الوليد وقال : "أيها الأمير ، إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا يختم ، ويزيد رجل شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحق بالخلافة" . (٢٦)

فأغلظ الوليد في كلامه وارتفعت الأصوات ، فهجم تسعة عشر رجلاً قد انتضوا خناجرهم وأخرجوا الحسين ( عليه السلام ) إلى منزله قهراً (٢٧) ، فقال مروان للوليد : عصيتني ! فو الله لا يمكنك على مثلها .

قال الوليد : ( ويح غيرك ) يا مروان ! اخترت لي ما فيه هلاك ديني . أقتل حسيناً أن قال لا أبايع ؟! والله لا أظن امرئاً يحاسب بدم الحسين إلّا خفيف الميزان يوم القيامة (٢٨) ، ولا ينظر الله إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم . (٢٩)

## ٢- الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان :

وفيهما دلالة على حرمة الخلافة على أساس قبلي جاهلي ، فقد نقلت كتب التاريخ أن الإمام الحسين ( عليه السلام ) بعد أن رفضبيعة يزيد ، لقيه مروان عند صباح اليوم الثاني ، فدار بينهما كلام ( نصح ) فيها مروان الإمام ( عليه السلام ) ببيعة يزيد ، فاسترجع الحسين ( عليه السلام ) وقال : "على الاسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد ، ولقد سمعت جدي رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يقول : الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان ( ٣٠ ) .

فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه ، وقد رآه أهل المدينة على المنبر فلم يبقروا ، فابتلاهم الله بيزيد الفاسق" . و طال الحديث بينهما حتى انصرف مروان مغضباً ( ٣١ ) .

٣- لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد :

فقد جاء أن محمّد بن الحنفية قال للإمام الحسين ( عليه السلام ) : يا أخي ، أنت أحب الناس إليّ وأعزهم عليّ ، ولست أدّخر النصيحة لأحد من الخلق إلّا لك ، وأنت أحق بها . تنحّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ، ثم ابعث برسلك إلى الناس ، فإن بايعوك حمدت الله على ذلك ، وإن اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ، ولم تذهب مروءتك ولا فضلك .

وإنني أخاف عليك أن تدخل مصرّاً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم ، فطائفة معك وأخرى عليك ، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنة غرضاً ، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيّعها دماً وأذلّها أهلاً .

فقال الحسين : "فأين اذهب" ؟ قال : تنزل مكة ، فإن اطمأنت بك الدار وإلّا لحقت بالرمال وشعف الجبال ، وخرجت من بلد إلى آخر حتى تنظر ما يصير إليه أمر الناس ، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً ، حين تستقبل الامور استقبالاً ، ولا تكون الأمور أبداً أشكل عليك منها حين تستدبرها استدباراً . ( ٣٢ )

فقال الحسين : "يا أخي ، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية" . فقطع محمد كلامه بالبكاء . فقال الحسين : "يا أخي ، جزاك الله خيراً . لقد نصحت وأشرت بالصواب . وأنا عازم على الخروج إلى مكة ، وقد تهيّأت لذلك أنا وأخوتي وبنو أخي وشيعتي ، أمرهم أمري ورأيهم رأيي . وأما أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ، لا تخفي عني شيئاً من أمورهم" . ( ٣٣ )

٤- إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي محمّد ( صلى الله عليه وآله ) :

كتب الحسين ( عليه السلام ) قبل خروجه من المدينة وصيّة قال فيها : "بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ إلى أخيه محمد بن الحنفية ، أن الحسين يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده ، وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور .

وإنني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي صلى الله عليه وآله .

أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدِّي وأبي علي بن أبي طالب ، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن ردَّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين .

وهذه وصيَّتي إليك يا أخي ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " . ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى أخيه محمد . (٣٤)

٥- ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله

فقد ذكر المؤرخون أن الحسين ( عليه السلام ) وافته في مكة كتب أهل الكوفة ، من الرجل والاثني والثلاثة والأربعة ، يسألونه القدوم عليهم لأنهم بغير إمام ، ولم يجتمعوا مع النعمان بن بشير في جمعة ولا جماعة ، وكثرت لديه الكتب ، حتى ورد عليه في يوم واحد ستمئة كتاب ، واجتمع عنده من نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب ، وفي كل ذلك يؤكدون الطلب وهو لا يجيبهم . وآخر كتاب ورد عليه من شيث بن ربعي ، وحجَّار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث ، وعزرة بن قيس ، وعمرو بن الحجاج ، ومحمد بن عمير بن عطار ، وفيه :

إن الناس ينتظرونك ، لا رأي لهم غيرك ، فالعجل العجل يا بن رسول الله ، فقد اخضرَّ الجنب وأينعت الثمار وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار ، فأقدم إذا شئت ، فإنما تقدم على جند لك مجنَّدة . (٣٥)

ولما اجتمع عند الحسين ما ملأ خرجين كتب إليهم كتاباً واحداً دفعه إلى هانئ بن هانئ السَّبُعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي ، وكانا آخر الرسل .

وصورته : "بسم الله الرحمن الرحيم : من الحسين بن علي إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين .

أما بعد ، فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم ، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم ، وقد فهمت كل الذي قصصتم وذكرتم ، ومقالة جلَّكم أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمِّي وثقتي من أهل بيتي ، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم ، وقرأت في كتبكم ، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله . فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط ، والدائن بالحق ، والحابس نفسه على ذات الله . والسلام" . (٣٦)

٦- رضا الله رضانا أهل البيت :

فقد ورد أن الحسين ( عليه السلام ) لما بلغه أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر ، وأمره على الحاج ، وولاه أمر الموسم ، وأوصاه بالفتك بالحسين ( عليه السلام ) أينما وجد (٣٧) ، عزم على الخروج من مكة قبل إتمام الحج ، واقتصر على العمرة كراهية أن تستباح به حرمة البيت . (٣٨)

وقبل أن يخرج قام خطيباً فقال : "الحمد لله ، وما شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على رسوله . خطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف ! وخير لي مصرع أنا لاقيه . كأي بأوصالي تقطَّعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلا ، فيملأن منِّي أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً . لا محيص عن يوم خطَّ بالقلم . رضا الله رضانا أهل البيت . نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين .

لن تشدّ عن رسول الله لحمته ، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس ، تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده . ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا ، فإني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى" . ( ٣٩ )

وكان خروجه ( عليه السلام ) من مكة لثمان مضين من ذي الحجة ، ومعه أهل بيته ومواليه وشيعته من أهل الحجاز والبصرة والكوفة ، الذين انضموا إليه أيام إقامته بمكة ، وأعطى كل واحد منهم عشرة دنانيز وجملاً يحمل عليه زاده . ( ٤٠ )

٧- نحن اهل بيت محمد ( صلى الله عليه وآله ) أولى بولاية هذا الأمر :

فقد جاء أن الحسين ( عليه السلام ) بعد خروجه من مكة سار حتى نزل في شراف ، وعند السحر أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا ، وفي نصف النهار سمع رجلاً من أصحابه يكبر ، فقال الحسين : "لم كبرت" ؟ قال : رأيت النخل ، فأنكر من معه أن يكون بهذا الموضع نخل وإنما هو أسنة الرماح وآذان الخيل ، فقال الحسين : "وأنا أراه ذلك" ، ثم سألهم عن ملجأ يلجأون إليه ، فقالوا : هذا ذو حسم ( ٤١ ) عن يسارك فهو كما تريد فسبق إليه الحسين وضرب أبنيته .

وطلع عليهم الحر الرياحي ( ٤٢ ) مع ألف فارس ، بعثه ابن زياد ليحبس الحسين ( عليه السلام ) عن الرجوع إلى المدينة أينما يجده ، أو يقدم به الكوفة ، فلما رأى سيد الشهداء ( عليه السلام ) ما بالقوم من العطش ، أمر أصحابه أن يسقوهم ويرشفوا الخيل ، فسقوهم وخیولهم عن آخرهم .

وكان علي بن الطعان المحاربي مع الحر ، فجاء آخرهم وقد أضرب به العطش ، فقال له الحسين ( عليه السلام ) : "أنخ الرواية" ، وهي الجمل بلغة الحجاز فلم يفهم مراده فقال له : "أنخ الجمل" . ولما أراد أن يشرب جعل الماء يسيل من السقاء ، فقال له ريحانة الرسول : "أخنت السقاء" . فلم يدر ما يصنع لشدة العطش ، فقام ( عليه السلام ) بنفسه وعطف السقاء حتى ارتوى وسقى فرسه .

ثم إن الحسين ( عليه السلام ) استقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال : "إنها معذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم ، وإني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ، وقدمت بها عليّ رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام ، ولعل الله أن يجمعنا بك على الهدى ، فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم ، فأعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم ، وإن كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم" .

فسكتوا جميعاً . وأذن الحجاج بن مسروق الجعفي لصلاة الظهر ، فقال الحسين للحر : "أتصلي بأصحابك" ؟ قال : لا ، بل نصلي جميعاً بصلاتك ، فصلّى بهم الحسين ( عليه السلام ) .

وبعد أن فرغ من الصلاة أقبل عليهم فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي محمد ( صلى الله عليه وآله ) وقال : "أيها الناس ، إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله ، ونحن أهل بيت محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسائرين بالجور والعدوان ، وإن أبيتم إلا الكراهية لنا والجهل بحقنا ، وكان رأيكم الآن على غير ما أتتني به كتبكم ، انصرفت عنكم" .

فقال الحر : ما أدري ما هذه الكتب التي تذكرها ؟ فأمر الحسين عقبة بن سمعان فأخرج خرجين مملوئين كتباً .

قال الحر : إني لست من هؤلاء ، وإني أُمّرت ألاّ أفارقك إذا لقيتك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد . فقال الحسين : "الموت أدنى إليك من ذلك ، وأمر أصحابه بالركوب ، وركبت النساء فحال بينهم وبين الانصراف إلى المدينة" . (٤٣)

٨- من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله :

فقد ورد أن الإمام الحسين ( عليه السلام ) خطب في أصحاب الحر في البيضة (٤٤) ، فقال بعد الحمد لله والثناء عليه : "أيها الناس ، إن رسول الله قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله .

ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله وحرموا حلاله ، وأنا أحقّ من غير ، وقد أتتني كتبكم ، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني ، فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم ، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ، نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، ولكم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدهم ، وخلعتم بيعتي من أعناقكم ، فلعمري ما هي لكم بنكر ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ، فالمغرور من اغترّ بكم ، فحظكم أخطأتم ، ونصيبكم ضيّعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" . (٤٥)

٩- إني لا أرى الموت إلّا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلّا برماً :

لقد كان نزول الإمام الحسين ( عليه السلام ) في كربلاء في الثاني من المحرم سنة إحدى وستين ، (٤٦) فجمع ولده وإخوته وأهل بيته ، ونظر إليهم وبكى وقال : "اللهم إنا عترة نبيك محمد ، قد أخرجنا وطردنا وأزعجنا عن حرم جدنا ، وتعدّت بنو أمية علينا . اللهم فخذلنا ، بحقنا ، وانصرنا على القوم الظالمين" .

وأقبل على أصحابه فقال : "الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم ، يحوطونه ما درّت معائشهم ، فإذا مُحصوا بالبلاء قلّ الديّانون" . (٤٧)

ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله وقال : "أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون ، وإن الدنيا قد تغيّرت وتنگرت وأدبر معروفها ، ولم يبق منها إلّا صُبابة كُصّابة الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل . ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله ، إني لا أرى الموت إلّا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلّا برماً" . (٤٨)

١٠- لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق :

عندما بعث الحر بن يزيد الرياحي إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين ( عليه السلام ) في كربلاء ، كتب ابن زياد إلى الحسين ( عليه السلام ) : أما بعد يا حسين ، فقد بلغني نزولك كربلاء ، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يزيد ألاّ أتو سدّ الوثير ولا أشبع من الخمير أو ألحقك باللطيف الخبير ، أو تنزل على حكمي وحكم يزيد . والسلام .

ولما قرأ الحسين ( عليه السلام ) الكتاب رماه من يده وقال : "لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق"

. وطالبه الرسول بالجواب فقال : "ماله عندي جواب . لأنّهُ حَقَّت عليه كلمة العذاب " .

وأخبر الرسول ابن زياد بما قاله أبو عبد الله ( عليه السلام ) ، فاشتد غضبه ، ( ٤٩ ) وأمر عمر بن سعد بالخروج إلى كربلاء لقتال الإمام الحسين ( عليه السلام ) .

١١- لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد :

عندما أقبل عمر بن سعد نحو الحسين ( عليه السلام ) في ثلاثين ألفاً ، دعا الإمام الحسين ( عليه السلام ) براحلته فركبها ، ونادى بصوت عال سمعه جلهم : "أيها الناس ، اسمعوا قولي ، ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم ، فإن قبلتم عذري وصدّقتُم قولي وأعطيتُموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم عليّ سبيل ، وإن لم تقبلوا مِنّي العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم : ( فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون ) . ( إن وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين ) " .

ثم قال : "الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور من غرّته ، والشقي من فتنته ، فلا تغرّبكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها ، وتخيّب طمع من طمع فيها ، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحلّ بكم نعمته ، وجنّبكم رحمته ، فنعمة الربّ ربنا وبئس العبيد أنتم! أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، ثم إنكم زحفتُم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم ، لقد استخوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم ، فتبّاً لكم ولما تريدون ! إنا لله وإنا إليه راجعون . هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين . ( ٥٠ )

أيها الناس أنسبوني من أنا ، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألسنت ابن بنت نبيّكم ، وابن وصيّهِ وابن عمّه وأول المؤمنين بالله ، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربّه ؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي ؟ أوليس جعفر الطيار عمّي ؟ أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي : هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟ فإن صدّقتُموني بما أقول - وهو الحق - فو الله ما تعمّدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضّرّ به من اختلقه ، وإن كذّبتُموني فإن فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبا سعيد الخدري ، وسهل بن سعد الساعدي ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي ، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟!

ثم قال الحسين ( عليه السلام ) : "فإن كنتم في شك من هذا القول ، أفتشكّون أني ابن بنت نبيّكم ؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ، ويحكم! أتطلبوني بقتيل منكم قتلته ، أو مال لكم استهلكته ، أو بقصاص جراحة ؟ فأخذوا لا يكلمونه ، فنادى : "يا شبت بن ربعي ، ويا حجار بن أبجر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا زيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إليّ أن أقدم قد أينعت الثمار واخضرّ الجناب ، وإنما تقدم على جند لك مجنّدة" ؟ فقالوا : لم نفعل .

قال : "سبحان الله! بلى والله لقد فعلتم . ثم قال : أيها الناس إذا كرهتُموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض" ، فقال له قيس ابن الأشعث : أو لا تنزل على حكم بني عمك ؟ فإنهم لن يروك إلّا ما تحب ، ولن يصل إليك منهم مكروه .

فقال الحسين ( عليه السلام ) : "أنت أخو أخيك ، أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله ، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أفرّ فرار العبيد . عباد الله ، إني عذت برّبي وربكم أن ترجمون . أعوذ برّبي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب" .

ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها . (٥١)  
١٢- هيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون :

وخطب الإمام الحسين ( عليه السلام ) خطبته الثانية فيمن جاء لقتاله ، حيث ركب فرسه وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه ، ووقف بإزاء القوم وقال : "يا قوم ، إنّ بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ( ٥٢ ) .

ثم استشهدهم على نفسه المقدسة وما عليه من سيف النبي ( صلى الله عليه وآله ) ودعاه وعمامته ، فأجابوه . بالتصديق ، فسألهم عما أقدمهم على قتله ، فقالوا : طاعة للأمير عبيد الله بن زياد . فقال ( عليه السلام ) : "تبّاً لكم أيّها الجماعة وترحاً! أحين استصرختمونا وآلهين فأصرخناكم موجفين ، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم ، وحششتهم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم ؟ فأصبحتم ألباً لأعدائكم على أوليائكم ، بغير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ، فهلاً لكم الويلات! تركتمونا والسيف مشيم ، والجأش طامن ، والرأي لما يستحصف ، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى ، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتموها ، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة ، وشذاذ الأحزاب ، ونبذة الكتاب ، ومحزّفي الكلم ، وعصبة الإثم ، ونفثة الشيطان ومطفئي السنن! ويحكم! أهؤلاء تعضدون ، وعنا تتخاذلون ؟ أجل والله ، غدر فيكم قديم ، وشجت عليه أصولكم ، وتأزّرت فروعكم ، فكنتم أخبث ثمر ، شجى الناظر ، وأكلة للغاصب .

ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين : بين السّلة والذّلة ، وهيهات منا الذّلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حميّة ، ونفوس أبيّة ، من أن تؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام . ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر .

أما والله لا تلبثون بعدها إلّا كريثما يركب الفرس ، حتى تدور بكم دور الرّحى ، وتقلق بكم قلق المحور . عهد عهده إليّ أبي عن جدّي رسول الله ( فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون ) ، ( إني توكلت على الله ربّي وربكم ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم ) . (٥٣)

ثم رفع يديه نحو السماء وقال : "اللّهم أحبس عنهم قطر السماء ، وابعث عليهم سنين كسنيّ يوسف ، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مُصبرة ، فإنهم كذبونا وخذلونا ، وأنت ربّنا عليك توكلّنا وإليك المصير . (٥٤)

والله لا يدع أحداً منهم إلّا انتقم لي منه ، قتلة بقتلة ، وضربة بضربة ، وإنه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي" . (٥٥)

١٣- يا أمة السوء !! بئسما خلفتم محمداً في عترته :

فقد روي أن الإمام الحسين ( عليه السلام ) عندما ودّع عياله أمرهم بالصبر ولبس الأزّر ، وقال : "استعدّوا للبلاء ،

واعلموا أن الله تعالى حاميك وحافظكم ، وسينجيكم من شر الأعداء ، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب ، ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة ، فلا تشكّوا ، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم . (٥٦)

ثم صاح بالقوم بصوت عال : "يا أمة السوء !! بئسما خلفتم محمداً في عترته ! أما إنكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله ، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي . وايم الله ، إنني لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة ، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون" . فقال الحصين : وبماذا ينتقم لك منا يا بن فاطمة ؟ قال : "يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم ، ثم يصبّ عليكم العذاب صبّاً" . (٥٧)

١٤- اللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن عترة نبيك ( صلى الله عليه وآله ) :

وحتى اللحظات الأخيرة التي كان الإمام الحسين ( عليه السلام ) يجود فيها بنفسه ، وهو مضمّخ بدمه على أرض كربلاء ، لم يغفل أبداً عن مبدأيته الرسالية ، فكانت آهاته وآلامه ، وهو في تلك الحالة ، هي تسليم لأمر الله ، ونظرٌ إلى مستقبل الرسالة والأمة ، وبيان لحقيقة موقفه وموقعه من الرسالة التي حملها ، والدور الذي اضطلع به ، فمما روي أن هلال بن نافع قال : كنت واقفاً نحو الحسين وهو يجود بنفسه ، فوالله ما رأيت قتيلاً قط مضمّخاً بدمه أحسن منه وجهاً ، ولا أنور ، ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله ، فاستقى في هذه الحال ماء فأبوا أن يسقوه ، وقال له رجل : لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها ، فقال ( عليه السلام ) : "أنا أرد الحامية ؟ وإنما أرد على جدّي رسول الله ، وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وأشكوا إليه ما ارتكبتهم منّي وفعلتم بي" ، فغضبوا بأجمعهم حتى كأن الله لم يجعل في قلب أحدهم من الرحمة شيئاً" . (٥٨)

ولما اشتد به الحال رفع طرفه إلى السماء وقال : "اللهم متعال المكان ، عظيم الجبروت ، شديد المحال ، غني عن الخلايق ، عريض الكبرياء ، قادر على ما تشاء ، قريب الرحمة ، صادق الوعد ، سابغ النعمة ، حسن البلاء ، قريب إذا دُعيت ، محيط بما خلقت ، قابل التوبة لمن تاب إليك ، قادر على ما أردت ، تدرك ما طلبت ، شكور إذا شُكرت ، ذكور إذا ذُكرت ، أدعوك محتاجاً ، وأرغب إليك فقيراً ، وأفزع إليك خائفاً ، وأبكي مكروباً ، وأستعين بك ضعيفاً ، وأتوكل عليك كافياً . اللهم احكم بيننا وبين قومنا ، فإنهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ، ونحن عترة نبيك ، وولد حبيبك محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، الذي اصطفيته بالرسالة ، وائتمنته على الوحي فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين" . (٥٩)

صبراً على قضائك يا ربّ لا إله سواك يا غياث المستغيثين ، (٦٠) مالي ربّ سواك ولا معبود غيرك ، صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له ، يا دائماً لا نفاذ له ، يا محيي الموتى يا قائماً على كل نفس بما كسبت ، أحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين" . (٦١)

المأساوية المروعة لواقعة كربلاء عنصر أساسي في تحقيق مصلحة الإسلام العليا :

لقد كان للصورة المأساوية التي تميّزت بها واقعة الطف الدامية في كل وقائعها ومفرداتها ، دور مرسوم وأثر بليغ شاءه الله سبحانه لتتحقق للإمام الحسين ( عليه السلام ) أهدافه الإلهية من خلال نهضته الكبرى ، والمتصفّح لكتب التاريخ التي تسرد تفاصيل واقعة الطف الأليمة سيهتز ضميره ويعتريه الحزن والألم الشديد ، بل تجري دمعته مع كل مفردة من مفردات الواقعة المأساوية ، منذ حركة الإمام الحسين ( عليه السلام ) بأهل بيته

وأصحابه من مَكَّة المكرمة ، حتى استشهاده على أرض كربلاء المقدسة ، وسبي نساءه وأطفاله فيما بعد ، وفي الوقت نفسه يستعر غضباً وغيضاً على الطاغية يزيد وابن زياد وعمّالهما من قتلة الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، لشدة قسوتهم وظلمهم الذي لا حدّ له في طريقة مواجهة الإمام ( عليه السلام ) ، وقتله وقتل أهل بيته وأصحابه وسبي نساء عترة الرسول ( صلى الله عليه وآله ) وأطفالهم .

ولقد فعلت هذه المأساة فعلها في تأجيج عواطف المسلمين ، خصوصاً أهل الكوفة وغيرها في حواضر العراق والحجاز ، وخلقت الأرضية الواسعة لأية مبادرة تعبوية لمواجهة الخلافة الأموية ، وكسر هيبتها ، وفضح تسوّرها بستار الخلافة الإسلامية ، ولهذا نجد أن مرحلة المواجهة والجهاد العنيد لهذا الخط المنحرف قد بدأت منذ أن بدأت النهضة الحسينية الكبرى ، واشتدت بعد استشهاده ( عليه السلام ) ، وكلها تنادي بشعار الرضا من آل محمد ( عليه السلام ) ، وهو شعار الإمام الحسين ( عليه السلام ) الشهير ، الذي أطلقه في نهضته حيث قال : "رضا الله رضانا أهل البيت" .

ولم أجد أبلغ من وصف الإمام الحسن ( عليه السلام ) لمسأة الإمام الحسين ( عليه السلام ) ، فقد روى أبو عبد الله الصادق ( عليه السلام ) أن الحسين دخل على أخيه الحسن ( عليه السلام ) في مرضه الذي استشهد فيه ، فلما رأى ما به بكى ، فقال له الحسن : "ما يبكيك يا أبا عبد الله" ؟ قال : "أبكي لما صُنِع بك" . فقال الحسن ( عليه السلام ) : "إن الذي يؤتى إليّ سمّ يدس إليّ فأقتل به ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله ، يزدلف إليك ثلاثون ألفاً يدعون أنهم من أمة جدنا محمد ، وينتحلون دين الإسلام ، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاك ثقلك ، فعندها تحلّ بني أمية اللعنة ، وتمطر السماء رماداً ودماً ، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيثان في البحار" . (٦٢)

ولم يقف الأثر التعبوي للنهضة الحسينية عند حدّ مقطعي من مسيرة الأمة ، بل تواصل بنمو نوعي وكمّي مطّرد عبر العصور ، حتى إننا نستطيع القول : إن من أبرز الأدلّة الواقعية على الأثر الدائم لهذه النهضة الخالدة في أعماق المسلمين ، وتحقيقها للهدف الشامل في تقويم المصلحة الإسلامية العليا على مستوى الرسالة والأمة جمعاء ، هو هذا الإجماع المطلق في جميع العصور على تأييدها والتفاعل مع معطياتها ، والإدانة المطلقة ليزيد بن معاوية موقفاً ومنهجاً ، فهذه كتب الحديث والتاريخ والسّير لكل المذاهب والفِرَق الإسلامية تجمع على ذلك ، وهذه كتب المحدثين من إسلاميّين وغير إسلاميّين ، ممن تناول قيام الإمام الحسين ( عليه السلام ) ونهضته بالدرس والتحليل ، تُجمع على ذلك أيضاً ، حتى لقد جاء على لسان أحدهم ، وهو الزعيم الهندي المعروف ( غاندي ) قوله : "لقد عرف الحسين كيف يكون مظلوماً فينتصر" .

---

١- البحار ٤٤: ٢٢٥ ، ح ٥ .

٢- الطبرسي ، إعلام الوري بأعلام الهدى : ٢١٧ الطبري ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ١١٩ . الخوارزمي ،

مقتل الحسين ١ : ٨٧ و ٨٨ .

٣- الفيروز آبادي ، فضائل الخمسة ٣ : ٢٦٢ . صحيح الترمذي ٢ : ٣٠٧ ،

٤- الطبرسي ، إعلام الوري : ٢١٩ .

٥- ابن الصباغ المالكي ، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (ع) : ١٧١ .

- ٦- البحار ٤٤: ٢٦١ ، ح ١٤ .
- ٧- البحار ٤٤: ٢٦٤ و ٢٦٥ ، ح ٢٢ .
- ٨ - المصدر نفسه ٢٦٦ ، ح ٢٤ .
- ٩ - المائدة : ١
- ١٠- الإسراء : ٣٤
- ١١- الشيخ المفيد ، الإرشاد: ٢٠٠
- ١٢- راجع الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٩٥ - ٢٩٦
- ١٣- الطبرسي ، الاحتجاج ٢: ٢٩٦ - ٢٩٧
- ١٤- الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر ٢: ٤٥ والطبرسي ، الاحتجاج : ٢٩٧ - ٢٩٨ .
- ١٥- الطبرسي ، الاحتجاج ٢ : ٢٩٨ - ٢٩٩ .
- ١٦- راجع ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ٨: ١٤٥ .
- ١٧- مقتل الخوارزمي ١ ١٧٨ - ١٨٠ ط . النجف .
- ١٨- تاريخ ابن عساكر ٤: ٣٢٧ .
- ١٩- تاريخ الطبري ٣: ٢٧٠ .
- ٢٠- الكامل لابن الأثير ٤: ١٥
- ٢١- اللهوف للسيد رضي الدين بن طاووس .
- ٢٢- مقتل الخوارزمي ١: ١٨٣ ، الفصل ٨ .
- ٢٣- تاريخ الطبري ٣ : ٢٧٠ .
- ٢٤- في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٢٩، طبع ايران ، والآداب السلطانية للفخري: ٨٨، أنّ جدّة مروان كانت من البغايا، وفي كامل ابن الأثير ٤: ٧٥ ، أن الناس كانوا يعيّرون ولد عبد الملك بن مروان بالزرقاء بنت موهب، لأنها من المومسات ومن ذوات الرايات .
- ٢٥- تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير والإرشاد وإعلام الوري .
- ٢٦- مثير الأحزان لابن نما الحلّي من أعلام القرن السادس .
- ٢٧- مناقب ابن شهر آشوب ٢ : ٢٠٨
- ٢٨- تاريخ الطبري ٣ : ٢٧٠
- ٢٩- اللهوف : ١٤
- ٣٠- اللهوف : ١٣ ومثير الأحزان: ١٠
- ٣١- مقتل الخوارزمي ١ : ١٨٥ ، الفصل ٩ .
- ٣٢- تاريخ الطبري ٣ : ٢٧١ ، والكامل لابن الأثير ٤: ٧ .
- ٣٣- مقتل محمد بن أبي طالب ، ولم يذكر أرباب المقاتل هذا العذر، واعتذر العلّامة الحلّي في أجوبة مسائل ابن مهتّا بالمرض ، وفي أخذ الثار لابن نما الحلّي، ص ٨١، إصابته بقروح فلم يتمكّن من الخروج مع الحسين (ع) .
- ٣٤- مقتل العوالم : ٥٤ ، ومقتل الخوارزمي ١ : ١٨٨ ، الفصل ٩ .
- ٣٥- ابن نما ، مثير الأحزان: ١١
- ٣٦ - تاريخ الطبري ٣: ٢٧٨ والأخبار الطوال: ٢٣٧

- ٣٧- المنتخب : ٣٠٤ ، الليلة العاشرة .
- ٣٨- ابن نما ، مثير الأحزان: ٨٩/ وتاريخ الطبري ٣: ٢٩٥
- ٣٩- اللهوف : ٣٣ ، وابن نما، مثير الأحزان: ٢٠ .
- ٤٠- نفس المهموم : ٩١
- ٤١- حسم (بضم الحاء المهملة وفتح السين بعدها ميم): جبل كان النعمان بن المنذر يصطاد به .
- ٤٢- في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢١٥: الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب الردف بن هرمي بن رياح يربوع، وقيل لعتاب الردف لأن الملوك يردفونه .
- ٤٣- إرشاد المفيد . وابن شهرآشوب في المناقب ٢: ١٩٣ .
- ٤٤- البيضة : ما بين واقعته إلى عذيب الهجانات ، وهي أرض واسعة لبني يربوع بن حنظلة .
- ٤٥- تاريخ الطبري ٣: ٣٠٧ .
- ٤٦- نص عليه الطبري في تاريخه ٣: ٣١٠، وابن الأثير في الكامل ٤: ٢٠، والمفيد في الإرشاد .
- ٤٧- البحار ١٠: ١٩٨ ومقتل الخوارزمي ١: ٢٣٧ .
- ٤٨- هذا في اللهوف، وعند الطبري في تاريخه ٣: ٣٠٧ أنه خطب فيهم بذي حسم، وفي العقد الفريد ٢: ٣١٢، وحلية الأولياء ٣: ٣٩، وتاريخ ابن عساكر ٤: ٣٣٣ مثل ما في اللهوف، وفي مجمع الزوائد ٩: ١٩٢، وذخائر العقبى، ١٤٩، وحلية الأولياء ٢: ٣٩، والعقد الفريد ٢: ٣١٢ ما يظهر منه أنه خطب بذلك يوم عاشوراء، وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ٣: ٢٠٩ لما نزل عمر بن سعد بالحسين خطب أصحابه .
- ٤٩- البحار ١٠: ١٨٩، ومقتل العوالم: ٧٦ .
- ٥٠- مقتل محمد بن أبي طالب .
- ٥١- تاريخ الطبري ٣: ٣١٩ .
- ٥٢- تذكرة الخواص : ١٤٣ .
- ٥٣- تاريخ ابن عساكر ٤: ٣٣٤ ومقتل الخوارزمي ٢: ٧ واللهوف: ٥٤ .
- ٥٤- اللهوف : ٥٦ ط. صيدا ، ومقتل الخوارزمي ٢: ٧ .
- ٥٥- مقتل العوالم: ٨٤ .
- ٥٦- جلاء العيون للمجلسي (بالفارسية).
- ٥٧- مقتل العوالم : ٩٨ ، ونفس المهموم : ١٨٩ ، ومقتل الخوارزمي ٢ : ٣٤ .
- ٥٨- ابن نما ، مثير الأحزان: ٤٩ .
- ٥٩- مصباح المتهجد والإقبال وعنهما في مزار البحار : ١٠٧، باب زيارته يوم ولادته .
- ٦٠- أسرار الشهادة: ٤٣٣ .
- ٦١- رياض المصائب: ٣٣ .
- ٦٢- أمالي الصدوق: ١٠١، المجلس ٢٤/